الدكتور عبد الصبور شاهين

تأملات في ليلة القدر

إعداد
عبد الله المصري

الروافد الثقافية



تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

هذه صفحات من (منبر جامع عمرو بن العاص) تتناول رمضان ، وجوّه .. أيامه ولياليه ، وما ينبغى أن يمثل على ساحة المجتمع المسلم من قيم ومُثل ومبادىء قد تغيب عن واقعنا طوال العام ، ثم تقفز إلى مقدمة الواقع مع استهلال الشهر ، فإذا الناس صائمون .. قائمون .. ملتزمون بآداب دينية تباعدوا عنها حيناً من الزمن .. أجل .. فهذا هو رمضان .. شهر لا يشبهه غيره من الشهور لأن ما كان فيه لم يكن مثله أو مقاربه فى أى شهر آخر ..

لقد انفتح باب السماء ، وهبط أمين الوحى بالرسالة الإلهية .. الرسالة الخاتمة على قلب محمد ﷺ ، فكل شىء فى هذه المنظومة الإلهية متفرد متفوق ؛ القرآن مهيمن على كل كتب سبقه ، ومحمد ﷺ خاتم لكل الأنبياء قبله ، والإسلام لم يعرف كمالَه إلا مع هذه الرسالة ، والأمة التى صنعها القرآن هى خير أمة أخرجت للناس ، والليلة التى نزل فيها خيرٌ من ألف شهر ، فهى (خيرية) لا تعتمد على أسطورة التفوق الجنسى ، ولا النُعرة القومية ، ولا الغرور الشخصى .. إنما هى (خيرية) العمل الصالح ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وكل ذلك للعالمين ـ لا لقوم بأعيانهم .

لم يعرف البشر قبل رسالة محمد ﷺ فكرة (العالمينية) ، ولم يذوقوا طعم السلام الشامل ، والرحمة المنهمرة كالطوفان إلا مع إشراقة النور فى قلبِ أحب الإنسان ، وأغلى قدرَه ، وأعلى شأنه .. قلب محمد ﷺ .

وقد كانت التكاليف التى جاء بها إنسانيةً أولاً .. لخير الإنسان فى كل زمان ، وفى كل مكان .. فالتكاليف فى الإسلام ليست كهنوتاً ، ولا رهبانية ..

بل هى حركة من أجل الغير ، ودعوة إلى الخير ، وبذلك تغيّر واقع الإنسان ، وتحرك موكب الإنسانية كما لم يحدث من قبل ..

الصلاة للقضاء على الفحشاء والمنكر ، والصوم لضرب الشر فى الأنفس والمجتمع .. ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ ، والزكاة نماء وطهارة للفرد والأمة ، والحج تحقيق لمعادلة النسك والمنفعة ، والجهاد دفاع عن العقيدة ، وحرية الإنسان ، وكرامته .. إلخ ...

وهكذا جاء الدين ليصنع الحضارة ، ويوحّد البشرية بنداء واحد : ﴿ **ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ .. ﴿ **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** ﴾ .

فالنداء واحد للناس .. أى : للإنسان .. لبنى آدم .. دون تفرقة بين لون ولون ، أو جنس وجنس ، والمضمون واحد لا يتغير .. هو الدعوة إلى توحيد الخالق ، ورفض الشرك والشركاء ، والمنهج واحد هو طريق التغيير .. توسلاً إلى ما هو أفضل ، وأكرم فى واقع الحياة : ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ .. وإذا غيّر الناس ما أنفسهم تغيّر تلقائياً ما بمجتمعهم ، فاستقامت الحياة ، واعتدلت مسيرتها ، ومضت إلى غايتها تشق غبار الطريق المستقيم إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض .. أعدت للمتقين .

وهكذا يبدو موكب الحياة الدنيوية متّحداً متلاحماً بوعد الحياة البرزخية ، والحياة الأخروية ، وتلكم هى رسالة الإسلام ، ومهمته التى أنجزها على الأرض ، وفى واقع حياة البشر ، وما زال يحاول إنجازها فى عالمنا المادى المظلم الظلوم .

فمن الحق أن نؤمن بأن كل عبادة للإله الواحد غايتها الوصول إلى

رضوان هذا الإله الواحد ، وكل حركة فى حياتنا ينبغى أن نوجهها صوب هذا الهدف .. لا تتردد ، ولا تنحرف عن سمتها ، وهذا هو المقصود بمعنى الإخلاص .. ﴿ **فاعبد الله مخلصاً له الدين** ﴾ .. ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾ .

وإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة من (الإخلاص) يكون قد أسلم إسلاماً خالصاً ، وأيقن يقيناً عميقاً .. ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ ، فهذه إذن غاية الغايات التى دعا إليها محمد ﷺ البشريةَ ، وناداها نداء مدوياً ما زالت أصداؤه (تدوِّم) فى الآفاق ، وستبقى بصماته على قسماتها إلى يوم الدين .. ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ .

هذه الصفحات ـ كما ترون ـ معدودة فى كمِّها ، ولكن مضمونها عميق ..

تتناول بالتعليق (ليلة القدر) ، وهى ليلة لو عاشها مؤمن فهى خير له من عمره كله .. بل هى خير من أعمار وأعمار .

لو استطاعت هذه الصفحات أن تقول فى هذا الشأن ما يزيد ثقافة القارىء المؤمن ، وما يصحح فهمه لبعض حقائق الدين ـ فإنها تكون قد قالت شيئاً ..

نسأل الله له القبول ، وبه المغفرة .

عبد الصبور شاهين

القاهرة فى : رمضان ١٤١٦ هـ
يناير ١٩٩٦ م

* * *

ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر *

يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى كتابه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ [القدر : ١ ـ ٥] .

أيها المسلمون ...

لا بد أن نتحدث اليوم عن هذه الليلة المجيدة التى سجّل بها الحق ـ تبارك وتعالى ـ هذا الشرف فى كتابه الكريم .. أنزل القرآن ، ثم حدد تاريخ النزول فجعله ليلة القدر ، وذلك فى سورتين متواليتين (العلق ثم القدر) ، ومن هنا خصّ ليلة القدر بمجموعة من الخصائص حتى يتبين الناس ما خصّهم به فى هذه الليلة من الشرف .. ومن الرضوان .. ومن الرحمة .. ومن التكريم .

الناس يغفلون أو يجهلون ما عناه الله بحديثه عن ليلة القدر فيتصورون أن ليلة القدر هذه أشبه بعمليات السحب على تذاكر اليانصيب .. من الذى سيقع عليه اختيار الحظ ، ويصادف بختاً عشوائياً لا دخل لأية إرادة فيه ؟

لا أحد يعرف ولكن يفأجأ الناس بأن واحداً منهم جاء حظه وأسفر عن مكافأة سخية ظفر بها .. هكذا دون مقدمات ، وكثيراً ما استمعنا إلى حكايات العجائز يتحدثن عمن رأت منهن طاقة فى الشباك فأسرعت ودعت واستجيب دعاؤها ، وظنت أنها ليلة القدر .. هكذا يتقلص حجم ليلة القدر إلى أن يصبح

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢٢ رمضان ١٤٠٩هـ / ٢٨ إبريل ١٩٨٩م .

فى حجم الرغيف ، وربما كانت هذه العجوز تحلم فى هذه اللحظة برغيف تأكله ، فإذا بها ترى طاقة نور فى حجم الرغيف تراها فتدعو الله أن يعطيها ما تريد ، وبذلك ينتهى المشهد وتتحقق الآمال من وراء شهود ليلة القدر أو طاقة القدر ، ولهذه المناسبة أطلقوا عليها طاقة القدر ، طاقة القدر ظهرت ودعونا كذا .. وكذا ثم اختفت طاقة القدر .. تصاغرت الليلة حتى أصبحت فى حجم الطاقة ، وهذا كله من آثار الجهل الذى يعشش فى الرؤوس ، والذى يدور حول أروع الحقائق الدينية ، وأروع ما تحدث عنه القرآن ، فإذا بهذا التصوير القرآنى يتحول إلى شيء زهيد قليل ضئيل القدر يسمى طاقة القدر ، ولا تراه أو تصادفه إلا أعين العجائز ، وما جاءتنا كله نصوص تتحدث عما يسمى بطاقة القدر ، وإنما جاء القرآن ليتحدث عن « ليلة القدر » فى سورتها ، وعن « الليلة المباركة » فى سورة الدخان ، وذلك فى قوله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ [الدخان : ١ ـ ٤] .

فالقرآن هنا يتحدث عن الليلة التى أنزل فيها القرآن على أنها ليلة مباركة وعلى أنها الليلة التى نزل فيها النذير ، والليلة التى فيها يفرق كل أمر حكيم ، والتى يرسل الله فيها الرحمة . فهذه صفات وخصائص الليلة التى يتحدث عنها القرآن ، لأنها الليلة التى نزل فيها القرآن .. أتعلمون ما معنى « الليلة التى نزل فيها القرآن » ؟ الليلة التى حددها الله ـ عز وجل ـ ليخاطب البشرية خطابها الإلهى الذى يقرر مصيرها .. آخر كلمة اتصلت من الملأ الأعلى .. بالأرض ، وخاطبت الإنسان لتضعه أمام مصيره نزلت فى هذه الليلة ، وهى لاشك ليلة عظيمة فى الملأ الأعلى ، لأن عالم الملائكة مازال حتى آخر الزمان يحتفل بهذه الليلة .. إن الملأ الأعلى لم يشهد ليلة أعظم من هذه الليلة .

الملائكة فى عالمهم العلوى لم يشهدوا أعظم ولا أروع منها ، لأن الحق ـ تبارك وتعالى ـ تجلى عليهم فأنزل فى مواكبهم آخر كلمة من عنده يقرر بها

مصير الإنسان ، ويقول له : هذا هو الحق إلى آخر الزمان ، وهذا هو الباطل إلى آخر الزمان ، وليس وراء ما قرر القرآن من حق شيء من الحق وليس وراء ما أدان القرآن من الباطل شيء من الباطل .

فالقرآن حدد الحدود وقرر المفاهيم النهائية لمعنى الدين ، ومعنى الجنة ، ومعنى النار ، ومعنى القيامة ، ومعنى الحساب ، وكل هذه الأمور كانت غائبة أو غامضة فيما سبق من الكتب والرسالات ، ومن أجل هذا يتحدث القرآن عن هذه الليلة حديثاً غريباً يربطها بالغيب .

ليلة القدر والوحى

إن هذه الليلة أولاً عاشها رسول الله ﷺ وكان هو محورها ، تهيأت السماء لترسل إليه جبريل لكى يوحى إليه بأمر الله الكلمات الأولى من الوحى ، وليبتدىء بهذه الكلمات نزول القرآن .. رآها رسول الله ﷺ ـ بل عاشها ـ ومع ذلك فإن القرآن يقول له : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ [القدر : ١ ـ ٢] ، كأنه يقول له : لابد أن تعلم لهذه الليلة قدراً عظيماً ما أدراك به ؟! والقرآن عندما يستخدم هذه الصيغة فى مثل قوله تعالى : ﴿ **الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة** ﴾ [الحاقة : ١ ـ ٣] إنما يريد بهذا أن يهوّل وأن يعظّم من خلال هذا الاستفهام ﴿ **وما أدراك ما الحاقة** ﴾ [الحاقة : ٣] أمرَ الحاقة ، وهى القارعة .. وهى الصاخة .. وهى الطامة الكبرى التى سوف تقرر مصير البشرية بقيام القيامة ونفخة الصور ، وحَشْرِ الناسِ إلى معادهم ، ووقوفهم بين يدى الحق ـ تبارك وتعالى ـ لكى يتسلمَ كل منهم كتابه ولكى يقال له : ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ [الإسراء : ١٤] حياة عجيبة لا أحد يستطيع أن يستوعب ما يملؤها من الأحداث ، تتلخص فى لحظة واحدة .. هى لحظة ﴿ **اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ [الإسراء : ١٤] ، وإذا كان من طبيعة البشر أن ينسوا

ما مرّ بهم فى هذه الدنيا ، فإن هذا الكتاب هو المفكرة ، أو السجل الذى لا يمكن أن تفقد فيه شيئاً مما مر عليك فى حياتك ، ﴿ **ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ [الكهف : ٤٩] ، لقد نسوا الكثير .. لقد غفلوا عن الكثير .. لقد ضاعت الأحداث وتفلتت من عقولهم وذاكرتهم ومع ذلك فإن الحق تبارك وتعالى يقول : ﴿ **أحصاه الله ونسوه والله على كل شىء شهيد** ﴾ [المجادلة : ٦] .

هذا هو أسلوب القرآن عندما يتحدث عن هذا الأمر االعظيم فهو يقول له : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر** ﴾ [القدر : ١ ـ ٢] ، أى : إن قدرها لا يحيط به إنسان ولا تتسع للتعبير عنه قدرة إنسان .

ليلة القدر وأعمار الأمة

ثم يستمر المشهد : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ [القدر : ١ ـ٣] .. يولع كثيرون بأن يقولوا إن ليلة القدر مرتبطة بمناسبة هى أن رسول الله ﷺ استقل ـ فيما بدا له ـ أعمار أمته كان الناس قبل أمة الإسلام يعيشون أعماراً طويلة ، فلما استقل أعمار هذه الأمة أكرمه الله ، وأكرم أمته بأن منحه ليلة خيراً من ألف شهر ، فكأنها تعويض عما فات الأمة من طول الأعمار .

وأنا أقول : إن ليلة القدر أعظم من آلاف الشهور والأعوام .. إنها ليلة وحيدة فى عمر البشرية ، لم تسبقها ليلة خير منها ، ولم تأت بعدها ليلة خير منها ، وإنما هى ليلة فريدة فى عمر الإنسان كله .. منذ كان النبيون ، ومنذ كان الدين ، ومنذ كان التكليف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هل هنالك أعظم من القرآن فى كتب السماء ؟ لا يمكن .. هل هنالك

خيـر من محـمـد بين رسل الله ـ ﷺ ـ ؟ لا يمكـن .. هل هنالك أعظم من اللـحظة التى بشّر فيها محمد ﷺ بنزول الوحى عليه وبابتـداء القرآن الكريم ؟ لا شيء خير من هذه اللحظة أبداً .

ليلة القدر والأعداد

إذن فاستخدام القرآن لكلمة : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ [القدر : ٣] إنما يقصد به التكثير يعنى المبالغة فى العدد ، لأن العرب كانوا يعرفون من الأعداد قدراً محدوداً ، وكان أكثر الأعداد التى ظهرت على ألسنة العرب مائة ألف فجاء فى القرآن (مائة ألف) ..كلمة (ألف) هنا لا تعنى ١ ، ٢ ، ٩٩٠ ، ١٠٠٠ ـ وإنمّا تعنى الكثرة فألف هو آلاف .. ومئات الألوف .

ليلة القدر خير من الزمان كله لأنها ليلة القرآن .. وليلة الدين .. وليلة الإسلام ، هذا هو المعنى الذى يستفاد من استخدام القرآن للعدد فى هذا السياق ، ولكى نفهم هذا الاستعمال فى لغة القرآن نقف أمام خطابه للرسول ﷺ عندما صلى على عبدالله بن أُبى بن سلول (رأس النفاق) عندما مات ، فقد نهاه عن أن يصلى على أحد منهم وأن يقوم على قبره ، لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فيقول له : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ [التوبة : ٨٠] ، ليس معنى ذلك أنك إذا استغفرت سبعين فلن يغفر الله لهم لكن لو زاد العدد إلى ثمانين يغفر الله لهم .. لا .. إنما المعنى إن تستغفر لهم سبعين أو مئات السبعينات فلن يغفر الله لهم ، بل ولا آلاف السبعينات ، فلم يغفر الله لهم ، المراد بالعدد هنا هو التكثير ، أى : إنه لا أمل فى أن يغفر الله لهم ، فقد سبق قضاؤه بإدانتهم وبتسجيلهم فى عداد الأشقياء هذا هو المعنى استخدام العدد .

فاستخدام العدد فى وصف ليلة القدر ليس بالضرورة مقصوداً به العدد المحدد بمعنى أن ليلة القدر خير من ألف شهر ، لكنها فى موازاة ألف وخمسمائة شهر ، ولكنها أقل من ألفى شهر !! لا .. ليس هذا هو المعنى لأن الإسلام حرص على أن يعبر دائماً عن المعانى ، لا عن الكميات ، فلا يقول الرسول ﷺ فى حديث صحيح : « **سبق درهم مائة ألف درهم** » فقالوا : كيف يا رسول الله ، فقال : « **رجل آتاه الله مال كثيراً فعمد إلى مائة ألف فأخرجها فى سبيل الله ورجل آتاه الله درهمين فعمد إلى أحدهما فأخرجه فى سبيل الله** » .

فالدرهم يمثل فى الحقيقة ٥٠ ٪ من ثروة صاحبه ، أما المائة ألف درهم فقد تمثل عشر الثروة ، ولو أن رجلاً يملك مليوناً من الدولارات فأخرج مائة ألف دولار صدقة فإن معنى ذلك أنه أطعم مائة ألف فقير ، وهذا العدد هائل كما نتصور ، ومع ذلك فإن إنفاق إنسان لو أخرج دولاراً أو جنيهاً واحداً قد يكون أفضل عند الله ممن أخرج مائة ألف لماذا .. ؟ لأنه قد يكون لا يملك غير جنيهين فأخرج نصف ثروته ، أما من أخرج مائة ألف فقد أخرج عشر ثروته أى : إنه بالنسبة إلى ذلك الذى أخرج دولاراً .. أو أخرج ديناراً .. أو أخرج جنيهاً يعتبر بخيلاً أما من أخرج جنيهاً فإنه يعتبر كريماً فى عداد الأخلاق الإسلامية .

كذلك حين يقول رسول الله ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** » ، ما المقصود من شق التمرة هذا ؟ المفروض أن يكون فعلاً شق تمرة ، فالإنسان يأخذ التمرة ويقسمها بيده ، ثم يعطى الفقير نصفها ، ويأكل نصفها ، لأنه لا يملك غير تمرة واحدة .. كان من الممكن أن يؤثر نفسه وأن يأكلها كلها ، وهى لن تسد جوعة بحال ، ولكن الأمر يتصل بالإيثار وبسخاء النفس ، فالجوعة التى تسدها تمرة يسدها نصف تمرة ، وخير له أن يجبر خاطر الفقير فيعطيه النصف ، ويأخذ النصف ، فهما يتناصفان فى تمرة ليكونا من أهل الجنة ، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقى العبد المؤمن النار بشق تمرة ، قد يكون هناك من يتصدق بآلاف

الأطنان من التمر ، يوزعها على الناس ، ومع ذلك لا تقبل صدقته ، ولا تنهض إلى مرتبة القبول ، بل ترد عليه ضائعة مضيّعة ، لأنها قد التبست بنوع من الرياء .. وربما ذهبت عن طريق المَن والأذى .. ربما أريد بها نوع من المظهرية الذى لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

ومن هنا تقاس الأمور فى الأخلاق الإسلامية بمغزاها .. بقيمتها الأخلاقية .. لا بكميتها ، ولذلك كان مما أُثر : « لا يَحْقِرَنَّ أحدكم شيئاً من المعروف » حتى الكلمة الطيبة ، يكفى أن تقول كلمة طيبة لتسجل لك ، ولا أحد يعرف حتى تكون ساعة القبول .. حتى تأتى ساعة الرضا فذلك أمر مقدر عند الله سبحانه وتعالى .. إن اللحظة التى يتجلى فيها الله على عباده هى لحظة فى الغيب ، ونحن نحاول باستمرار أن نفعل الخير لكى نصادف لحظة من لحظات القبول فلعل الله ـ تبارك وتعالى ـ يمن علينا بها وهنا نعود إلى المعنى الذى يقصد دائماً من استخدام الأعداد فى لغة القرآن الكريم ، ليس معنى هذا أن الأمر مقصور على معنى التكثير ، ولكن أقول : قد يكون العدد مقصوداً ، ولكن العدد لا يحجب ما زاد عليه من فضل الله وفيضة ، لأن ليلة القدر فعلاً خير من مئات الألوف من الليالى ومن الشهور ومن السنين هذا هو ما نراه فى معنى : ﴿ **ليلة القدر خير من ألف شهر** ﴾ [القدر : ٣] .

نزول الملائكة

وماذا عن مواكب الملائكة فى هذه الليلة أيها الأخوة المؤمنون ... ؟؟

﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها** ﴾ [القدر : ٤] ، لم يقل القرآن تَنْزِلُ الملائكة ولكن قال ﴿ **تَنَزَّلُ** ﴾ .. أى : تتنزل ، والقرآن يقول فى آية أخرى علَى لسان الملائكة : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ [مريم : ٦٤] ، فالله ـ تبارك وتعالى ـ ينزل إلى الأرض ملائكة الرحمن كوكبات ومواكب ، بعضها فى إثر بعض ، والملائكة كائنات من النور ، فَلَيْلَةُ القدر هى ليلة النور .. هى الليلة التى

نزل فيها النور على قلب محمد ﷺ الذى جعله الله نوراً للدنيا ، فالمشهد كما تعبر عنه آيات القرآن (نور يحمل نوراً إلى نور فى ليلة النور) ، أو كما عبر عنه القرآن : ﴿ **نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء** ﴾ .

ومحمد ﷺ له من حقيقة النور نصيب ، وهو ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً** ﴾ ، فالنور ينزل على السراج المنير بواسطة مَلَك هو من النور : ﴿ **نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين** ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥] ، فليلة القدر هى ليلة النور منذ نزل النور .. ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ [العلق : ١] .

أيها الأخوة المؤمنون :

فى كل عام ليلة تتألق فيها السموات والأرضون ، لأنها الليلة ريدة فى عمر الزمان ، التى انتهى فيها تقرير مصير البشرية ، والقرآن ليس حدثاً هيناً ، أهل لقرآن لا يعرفون قدر القرآن ، لا يدركون عظمة القرآن ، لذلك يجب أن يراجعوا معلوماتهم عن قدر القرآن ، ولا سيما فى ليلة القدر .. ليلة الشرف .. والعظمة .. والرفعة التى خص الله بها هذه الأمة ﴿ .. **خير أمة أخرجت للناس** ... ﴾ .

﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام** ... ﴾ [القدر : ٣ ـ ٤] ، والسلام نور والحرب ظلام .. والأمن نور والخوف ظلام وإنما جاء الدين : ﴿ **لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد** ﴾ [إبراهيم : ١] ، ﴿ **سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ [القدر : ٥] ، أى إن القرآن يقول : إن ليلة النور لا ينتهى فيها النور أبداً ، لأن النور فيها موصول بنور الفجر .. نور الملائكة .. ونور القرآن .. ونور العباد الداعية المبتهلين المتضرعين .. ونور السلام .. ونور التاريخ كله موصول بنور الفجر الذى يعتبر دائماً قاعدة النور فى أعين الناس : ﴿ **سلام هى حتى مطلع**

الفجر ﴾ [القـدر : ٥] .. أيمكـن أن يكـون هذا يكـون هذا الوصـف ، وهذا التفصيل مجرد طاقة صغيرة تداعب أحلام العجائز وتشوه حقيقة ليلة القدر ؟!

هذا هو ما نقوله دائماً : إن ليلة القدر ليست صدفة .. ليست مفاجأة .. ليست نوعاً من الحظ والمقامرة ، ولكنها ثمرة سعى واجتهاد عباد الله .. وقفوا أنفسهم للعبادة والضراعة له ، صاموا النهار .. وقاموا لليل .. وقرأوا القرآن .. وتضرعوا إلى ربهم ، فكانت النتيجة أن جاءت المحصلة نوراً فى نور فوصلهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ برضاه وباستجابته .

فى مثل هذه الليلة تبذل الأعمار من أجل الحصـول عليها .. من أجل مطالَعتها .. من أجل أن يتنـفس الإنسـان فيها نفساً واحداً ثم يكون بعذ ذلك نهـاية العمر ، فلا قيمة لعمر لا يتصل برضا الله ـ تبارك وتعالى ـ ولا قيمة لعمل لا يصادف القبول .. فكلنا نسعى إلى مثل هذه النتيجة .. أى : إلى هذه المحصلة النورانية التى كرّم الله بها محمداً ﷺ وأمته رضى الله عنها .

ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** » .. إنها ليلة لا يكون فيها إلا الإيمان ولا يكون فيها إلا الاحتساب عند الله وعدم التعلق بشىء من هذه الدنيا الفانية .

* * *

الليلة المباركة *

الحمدلله رب العالمين .. وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .. وبعد ..

فهذه هى الليلة المباركة التى ذكرها القرآن نصاً عندما قال فى أول سورة الدخان : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ [الدخان : ١ ـ ٤] صدق الله العظيم .

نعم هذه هى الليلة المباركة لأن ملائكة الله تشهدها وهى تتنزل مع جبريل ـ عليه السلام ـ الروح الأمين لكى تبارك مجتمع المؤمنين .. ولكى تفيض عليهم من رحمات الله .. ولكى تضفى على المجتمع من الأمن ومن السلام ما كتبه الله للمؤمنين قدراً مقدوراً .. هذه هى الليلة المباركة أيها الأخوة المؤمنون ...

والناس قد يتصورون أنها من الليالى اختار الله ـ عز وجل ـ لها أن تكون أكرم الليالى فقال : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ [القدر : ١ ـ ٥] . . فيقولون إنها خير من ألف شهر .. هل معنى ذلك أن ألفى شهر أو ثلاثة آلاف شهر خير من ليلة

(*) هذا الحديث ألقاه فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين بجامع عمرو بن العاص فى ليلة ختم القرآن الكريم يوم الخميس الموافق ٢٨ رمضان ١٤١٤ هـ / ١٠ مارس ١٩٩٤ م .

القدر ؟ لا والله ولا عمر الدنيا بأكملها يفضل هذه الليلة .. والألف هنا إنما ذكر فيما نفهم من سياق القرآن لإفادة الكثرة على نحو ما يقول القرآن فى استخدامه للعدد (سبعين) : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ [التوبة : ٨٠] .

هل معنى ذلك أن الله لا يغفر لهم فى حدود سبعين مرة ويمكن أن يغفر لهم إذا تجاوز استغفار ؟ قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لو علمت أننى لو زدت الاستغفار على سبعين لغفر الله لزدته** » .

أفضلية ليلة القدر

ومعنى ذلك أن ذكر العدد إنما يعنى الكثرة ..كأن الأفضلية لهذه الليلة تفوق أكبر عدد من الليالى حتى ولو بلغت ألفاً ، وكان الألف هو أعلى الأعداد فى استعمال الناس ، لكن هذه الليلة أعظم من آلاف الشهور والسنين وأقول هذا وأنا هنا أتمثل تلك اللحظة التى هى جزء من هذه الليلة عندما كان رسول الله ﷺ نفديه بأنفسنا وبأبائنا وأمهاتنا كان وحيداً فى الغار ، فى ظلام حراء .. ليس معه إلا أمله فى أن تشرق فى نفسه أنوار الهداية وأن يدله الله على مفتاحها وكنزها .. لم يكن يدرى من أمر الدنيا شيئاً اللهم إلا هذا التأمل وهذا الانعزال عن الناس .. وهذا التحنث .. أو التبتل .. أو الذكر .. أوالتأمل .. كل ذلك يدخل فى مفهوم التحنث فى الغار .

كان وحيداً فى هذه الليلة لأنه لم يستطع أن يصطحب معه أحداً فى الغار وليس معه فى مشاعره إلا ذكر الله تبارك وتعالى .. فى لحظة من هذه الليلة فتحت أبواب السماء ، وأشرقت أنوار الوجود كله ، وجاء جبريل يحمل أول ومضة من ومضات الوحى العظيم : يا أيها المبعوث رحمة للعالمين اقرأ .. اقرأ .. اقرأ ، وفى هذا التكرار فضلاً عن تنبيه رسول الله ﷺ واستحضار وعيه فى هذه

اللحظة ، ومساعدته على التركيز فيها تماماً ليتلقى وحى الله لأول مرة .. فى هذا التكرار معنى من أسمى المعانى هو أن النور لا يشرق إلا بأن تقرأ .. وتقرأ ، والعدد هنا لا نهاية له إلى آخر الزمان .

هل يمكن أن نقول إن الرسول أُمر أن يقرأ باسم ربه فى هذه اللحظة وحدها .. ؟ أبداً .. إن رسول الله أمر أن يقرأ فى هذه اللحظة إلى آخر عمره ، بدءاً من هذه اللحظة ، ثم إن الأمة كلها أمرت أن تقرأ إلى آخر الزمان لأن وجودها ووجود الإسلام وانتصار هذا الدين رهن بأن تقرأ هذه الأمة باسم الله الذى خلقه .. والذى علّم بالقلم .. علم الإنسان فى كل زمان وفى كل مكان ما لم يعلم .

و(اقرأ) هنا موجهه لكل منا .. لكل أمة من الأمم التى توالت عبر التاريخ تحمل مشعل الهداية ، وترفع لواء الدعوة إلى الله .. بل إننا نتوقف أمام لحظة (اقرأ) ، تلك التى كانت جزءاً من هذه الليلة المباركة ، أعظم الليالى على مضى التاريخ كله ، لم تعرف الانسانية فى تاريخها أعظم بركة من هذه الليلة ... بل من هذه اللحظة .

دعاء الرسول

هل ترون بركة هذه الليلة ؟ .. الناس يحصرونها فى دعوة مستجابة وَنعْم .. إن الدعاء يستجاب فى هذه الليلة كما وردت بذلك الآثار ، ولكن أدب الدين يعلمنا ماذا نطلب من ربنا ؟ وكيف ندعوه ؟ ومتى يكون الدعاء مستجاباً ؟ وهو درس لكل رجل ولكل امرأة .. الدعاء فى هذه الليلة هو قول رسول الله ﷺ : « **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنا** » وهل هناك أعظم من العفو نلتمسه من الله ونضرع إليه فيه .. ؟! هل هناك أعظم من العفو ؟! إننا مغمورون فى نعم الله ، ومع ذلك فنحن نقع أحياناً في التنكر لهذه النعم ..

نتورط فى عدم العرفان بجميل الله علينا ، فنحن نسأله أن يعفو عنا ... أن يغفر لنا هذه الزلة ... أن يصرف عنا هذه الغفلة .. أن يكرمنا ببركة هذه الليلة التى لا نهاية لها .

إن بركة هذه الليلة أيها الإخوة المؤمنون ليست فى أن ندعو فيستجاب لنا فحسب ، ولكن هذه الليلة كما ترون بأعينكم كانت أشبه بالبذرة التى استكنت فيها قدرة الله ــ تبارك وتعالى ــ وبركته ، وقد وضعت فى قلب محمد ﷺ بذرة الوحى ، فإذا بها تثمر قرآناً بهذا الحجم الذى نعرفه ، لم يكن محمد ﷺ مؤلفاً .. ولا أديباً من الأدباء .. ولا شاعراً من الشعراء ، وإنما تلقى عن ربه ، وهو الأمى الذى قال له ربه : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ [العنكبوت : ٤٨ ــ ٤٩] .

فى هذه الليلة بدأت الآيات البينات التى سكنت وتسكن دائماً صدور الذين أوتوا العلم ، وإذا بالعلم شجرة وارقة غزيرة الفروع والأغصان .. غزيرة الأوراق .. غزيرة الثمار ، وإذا بالدنيا كلها تقطف من هذه الشجرة التى بدأت بذرتها فى لحظة من لحظات هذه الليلة المباركة .

ليلة القدر والدعوة

تصوروا .. لحظة جاء فيها جبريل ... ماذا نتج عن هذه اللحظة ؟ .. نتجت عنها رسالة ملأت السهل والجبل .. أمة ملأت السهل والجبل .. دعوة غمرت الدنيا بأكملها .. شعوب تنتشر على سطح الأرض منذ أربعة عشر قرناً وإلى نهاية الزمان .. كل هذا من بركة هذه الليلة .. بل من بركة هذه اللحظة .. وليس هذا كل البركة ، وإنما هو بعض البركة أن يدعو محمد ﷺ إلى ربه ، وأن يلبى أصحابه دعوته ، وأن يخوضوا حروباً ومعارك وغزوات ،

وينجزوا فتوحاً وينشروا الدعوة في الدنيا ، ويهزموا الجبابرة من الأكاسرة والقياصرة ، ويدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وينتشر الدين ليصل كل أبيض أو أحمر أو أصفر أو أسود ، وليتقرر بهذا مصير البشرية ،وكل ذلك بدأ فى لحظة من لحظات هذه الليلة المباركة .

استعرضوا التاريخ كله .. واقرأوا تاريخ هذه الأمة فى صراعها من أجل تبليغ الدعوة ونشر الهداية .. من أجل نشر النور فى الدنيا بأكملها ، وارجعوا بتصوركم إلى كيف كانت البداية .. بداية النور الذى غمر الدنيا .. كانت ومضة من ومضات الوحى ، ثم تزايدت وتكاثرت وتعاظمت وانتشرت حتى غطت الزمان والمكان ، ولا يوجد فى الأرض مكان إلا وهو يدين لمحمد ﷺ .

الأديان قبل نزول القرآن

أيها الأخوة المؤمنون ..

إن القرآن هو الذى علم البشرية كيف تتعايش مع اختلاف الأديان ، وكانت الأديان قبل الإسلام ـ أى قبل هذه اللحظة من هذه الليلة المباركة ـكانت الأديان تتناحروتتحارب .. يقتل اليهود النصارى ، ويذبح النصارى اليهود فى ثأر لم تهدأ له نار ، حتى إذا جاء الإسلام قال : ﴿ **يا نار كونى برداً وسلاماً ...** ﴾ على البشرية ، وبذلك نشر روح التعايش بينه وبين اليهودية والنصرانية ، واجتمع الناس تحت راية الإسلام .. يتذوقون الحرية والحب والإخاء والمساواة والعدالة فى ظل حضارة الإسلام التى أسسها فى هذه الليلة وحى الله فى قلب محمد ﷺ .

وهذا العالم الذى يتخبط الآن فى الدوامات الهائلة من الحروب الطاحنة .. ومن المظالم الماجنة .. من المآسى التى يتفنن فيها أصحابها ليعذبوا عباد الله من

المؤمنين ... هذه كلها نتيجة الصراع بين الإيمان والكفر .. والتمايز بين الهداية والضلالة ، وإذا بقدر الله أن يدفع بعض الناس ببعض بعد أن يبلغهم كلمته الأخيرة ، إذا بقدر الله أن يتقرر مصير البشرية بعد أن يتضح الحق من الباطل وكما يقول القرآن : ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ [النساء : ١٦٥] ، وكان الإسلام نهاية الهداية الإلهية .. وكان الإسلام الكلمة النهائية من الله للبشر : ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة** ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

وهذه الأمة أيها الأخوة المؤمنون ...

هذه الأمة التى غاب وعيها ، فتحولت فيها ليلة التحول التاريخية .. ليلة القدر .. إلى مجرد ليلة يدعو فيها كل إنسان دعوة شخصية ، ثم تمر وكأنها لم تكن ليلة بوزن التاريخ كله .. فقد الناس هذا المعنى .. غاب عن وعيهم إشراقة النور فى قلب محمد ﷺ وهى أَجَلّ أحداث الدنيا بأكملها .



التوجه إلى الله فى ليالى رمضان *

أيها الأخوة المؤمنون ...

السلام عليكم ورحمة لله وبركاته ...

كل عام أنتم بخير ..

فقد اقترب رمضان وأصبحنا على وشك أن ندخل فى غمرة هذا الشهر الكريم .. فى غمرة أنواره التى تصاحبه دائماً ، فتسهرنا الليل كله ، وتوجدنا فى حالة من الصفاء والشفافية نحتاج إليها فى حياتنا .. فى سيرتنا على درب الحياة .. رمضان ليس شهراً ككل الشهور ، ولكنه حدث القرآن : ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ولا ريب أن ما ذكره القرآن من أن شهر رمضان أنزل فيه القرآن يمكن أن يصدق على معنيين .. معنى على أنه أنزل من الملأ الأعلى للسماء الدنيا .. ومعنى آخر أن بدء نزول القرآن كان فى ليلة مباركة من ليالى رمضان كما يحدّث القرآن عن ليلة القدر ، وليلة القدر ليلة مباركة : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة** ﴾ [الدخان : ٣] هى ليلة القدر .

هذه المعانى تجعل شهر رمضان الذى نصوم نهاره ، ونقوم ليله طعماً غير الطعوم الأخرى .. صحيح أن هذا الطعم يتأثر كما نعلم بأحداث الدنيا التى

(*) هذا الحديث التليفزيونى لفضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين فى البرنامج الأسبوعى بالقناة الثالثة بتليفزيون جمهورية مصر العربية (حديث الجمعة) للمخرج مصطفى سمهان ، أذيع يوم الجمعة الموافق ٢٨ شعبان ١٤١١ هـ / ١٥ مارس ١٩٩١ م .

تحوطنا فى هذه الأرض ، وتأخذ الليالى الرمضانية طابع هذه الأحداث لأننا لا نعيش رمضان فى عالم منعزل يعيش حالة من التبتل لله ـ تبارك وتعالى ـ وإنما تؤثّر أحداث الحياة من حولنا على صومنا ، وإذا بهمومنا فى هذا الشهر تكبر أو تصغر .. تتعاظم أو تتضاءل ، ولكن هنالك شيئاً معيناً يكبر ويعظم .. هو حجم توجهنا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ فى هذا الشهر .

فنحن نتوجه إلى الله فى ليالى رمضان أكثر مما نتوجه إليه فى بقية الشهور .. حتى إننا نكوّن لأنفسنا رصيداً من الدعاء .. ومن الخيرات .. ومن الحسنات ينفعنا ، أو ينفق علينا فى بقية الشهور ، فعلى حساب رمضان نرتكب كثيراً من التقصير الذى نسدد حسابه من رصيد رمضان ، ولذلك فإن علينا أن نجعل ليالى رمضان ـ لا مناسبة للضياع ، وللتسالى و للتهريج ـ وإنما مناسبة نتعمد أن تكون لله ، وأن تكون مع القرآن ، وأن تكون مع العبادة ، وألا نملّ من مجالسة الله .

فالإنسان عندما يجلس إلى القرآن يجب أن يعلم أنه يجلس إلى كلام الله ، وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ يحدّثه ويخاطبه ويكرمه بهذا الحديث .. إنه يقول له : ياعبدى .. أنا أتحدث إليك فاستمع إلىّ .. هذه آياتى تتلى عليك ... **﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى ﴾** [طه : ٢ـ٣] .

القـــرآن دواء

لقد أنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ القرآن دواء للشفاء ، فمن أراد أن يخفف عن نفسه الشقاء فليجلس إلى هذه المائدة .. بل وليملأ معدته منها ، وأنا أعتقد أن مأدبة الله مليئة بكل خير ، ولست فى ذلك أبالغ وأشطح ، فنحن نعلم مثلاً حتى من تجاربنا الدنيوية أن الشبع من الطعام هو فى الحقيقة فكرة .. إذا تصور إنسان أنه شبع من طعام ، فإنه فوراً يحس بالشبع ، ويجده فى معدته .. بل ولا يطيق أن يستمر فى الأكل من هذا الطعام .

معنى ذلك أننا لو جلسنا إلى القرآن ، وتصورنا أننا فعلاً نطعم من زاده ونتقبل من مائدته فإن إحساسنا بالشبع سوف يصرفنا عن كثير مما لا خير فيه ، وأنا والله يا إخوانى أدعوكم إلى خير .. وأرجوكم أن تحرصوا ألا تلوث ليالى رمضان بعبث لا طائل من ورائه .

نحن نعبث كثيراً فى حياتنا ، فليكن رمضان فرصة نبعدها عن العبث .. نكسبها من تجارة العبث والضياع التى تحاول أن تفسد علينا صيامنا بكثير من المشوقات والمقبلات ، ولا أريد أن أصف ، فأنتم تعلمون إلام أقصد وأنا أرجو أن يكون هذا الكلام فى أذن كل منكم تميمة يصطحبها معه حتى يكون صومه مقبولاً بالتزامه بأخلاق الصائم ، وحتى يكون قيامه مقبولاً بالتزامه بآداب القائم **« ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش »** .

إن الذى يتلفع بأخلاق القرآن ويتدثر بآداب الإسلام لا يحس لا بالجوع ولا بالعطش ، وإن الذى يصون لسانه عن قول الزور والعمل به يكون قد صام صوماً حقيقياً يؤهله لمرتبة أفضل فى ميزان الحق تبارك وتعالى ..

هذا حديث الصيام ولا أرجو أن يغيب عن عقولكم ، ولا عن ضمائركم .. وأسأل الله أن يتقبل منى ومنكم وأن يحملنا على جناح رحمته يوم نلقاه إن شاء الله .. شكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

ليلة القدر *
من نفحات رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة المؤمنون ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

موضوعان أحب أن أقف أمامهما فى هذا اللقاء ، وهما من خصائص رمضان ونفحاته فى حياتنا الإيمانية ..

أما الأول : فهو ليلة القدر ، تلك التى نتمنى أن نصادفها بدعاء أن يسترنا الله فى الدنيا والأخرة .. ويحضرنى هنا قولة للحكيم الترمذى (وهو من الصالحين) كان دائماً يدعو ربه بقوله : « اللهم استرنى واجبرنى » فلما سأله تلاميذه : أليس لك من دعاء أخر ؟ قال : بماذا أدعو ربى ولقد آتانى أكثر مما طلبت ، وغمرنى بأفضاله ونعمه ، وأنا عبد مفضوح لا أطيعه .. بل أعصاه .. أتورط فى السيئات فكل دعائى أن أقول له : يا ربى أدعوك أن تسترنى فى هذه الدنيا حتى لا تنكشف عورتى ، وينكشف تقصيرى فى أعين الخلق فيزهدوا فيما أقول .. ثم أقول له : اجبرنى يوم لقائك .. لا تفضحنى على رؤوس الخلائق .. هكذا كانت دعوة هذا الرجل الصالح التى اقتصر عليها ، وهكذا أرجو أن يكون دعاؤنا إلى جانب دعاء رسول الله ﷺ الذى علمه للسيدة عائشة حين سألته :

. (*) هذا الحديث التليفزيونى لفضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين فى البرنامج الأسبوعى بالقناة الثالثة بتليفزيون جمهورية مصر العربية (حديث الجمعة) للمخرج مصطفى سمهان ، وأذيع يوم الجمعة الموافق ٢٦ رمضان ١٤١٣ هـ / ١٩ مارس ١٩٩٣ م .

ماذا أقول إذا صادفت ليلة القدر .. ؟ قال : « **قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنى** » .

سر الدعاء

الدعاء هنا له سر جميل .. الدعاء يصف الله ــ عز وجل ــ بما وصف به نفسه .. فهى صفة من أسمائه الحسنى ، ثم إنه يسأل الله ــ عز وجل ــ بما هو محب للعفو عن خلقه .. الله يحب أن يرحم عباده ﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء** ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ ونحن فى رمضان أَحْسَنَّا والحمد لله برزنا بالناس .. عكفنا على القرآن .. صددنا عن العبث .. قللنا من السفاهة ومن التصرفات غير اللائقة .. عشنا لحظات من الحب ومن الطاعة ومن الإخبات لله ــ عز وجل ــ قد آن الآوان أن نقول لله ــ عز وجل ــ إنك عفو وتحب العفو .. فاعف عنا .

هو دعاء ولا شك ذو قيمة أخروية إلى جانب ما نسأله ــ عز وجل ــ من الستر فى الدنيا ، والجبر يوم اللقاء ، لا تتصوروا أن تسألوا الله ــ عز وجل ــ فى عبادتكم فى ليلة القدر مالا كثيراً .. فهذا كله زائل ، وسلوا الله ما يبقى لكم فى الدنيا وما يبقى لكم فى الآخرة .. هذا عن ليلة القدر التى هى كما حدث القرآن : ﴿ **خير من ألف شهر** ﴾ [القدر : ٣] ، أى خير من أن يعيش الإنسان ٨٣ سنة وأربعة أشهر فى الطاعة لله ــ تبارك وتعالى ــ إذا اعتبرنا العدد بحرفيته ، ولم نحمله على معنى التعبير عن مطلق الكثرة .

هذا هو الموضوع الأول .

زكاة الفطر

أما الموضوع الثانى : فهو زكاة الفطر ، وقد يسألنى بعض الناس لماذا الزكاة وقد أنفقنا الكثير فى رمضان .. ؟! يا أخى : أنفقت من أجل رمضان ..

أنفقت من أجل سد حاجات الناس فى رمضان لكن سيأتى العيد وذوو الحاجات لا يجدون ما ينفقون ، لأنهم أيضاً أنفقوا ما جاءهم من أبواب البر على حاجاتهم فى هذا الشهر الكريم .

إذن لابد أن تكون هنالك شعيرة هى واجبة لابد أن نؤديها : زكاة الفطر ، وزكاة الفطر مقدورة ومشروطة بشرط واحد .. لم يشرط لها الشارع نصاباً نملكه ، وإنما هى شعيرة واجبة على كل من يملك يوم العيد قوت يومه وغده .. يعنى قوت اليوم والليلة عنده طعام ٢٤ ساعة ثم يزيد عنده شيء يخرج منه شيئاً ، ولو قليلاً .

شـرط الكفـاية

إنها كما ترون زكاة غريبة لم يشترط فيها الغنَى ، إنما يشترط فيها الكفاية ، أنت مكتفٍ ، وهنالك أناس لا يجدون ما يكتفون به فى هذا اليوم ، ولذلك نعجب للشارع الذى أراد أن يكون هذا اليوم يوماً كريماً.. مستوراً .. جميل الصورة .. بهى الطلعة يقول الرسول ﷺ من أجل السؤّال وللفقراء والمعوزين وذوى الحاجات .. « **اغنوهم عن المسألة فى هذا اليوم** » .

والله .. لو وجد فى يوم العيد سائل محتاج ولم ينله ما يكفيه لحملنا جميعاً مسئوليته ، ولجاء يوم لقيامة ليطالب بحقه ، فنحن مذنبون فى حقه ، صحيح قد يقول لى بعض الناس : إن السؤال أصبح حرفة ، وإن هناك من السائلين من يملكون آلافاً وآلافاً ، ولكن لن نعدم أن نجد سائل محقاً .. ولن نعدم أن نرد حتى على سؤال الغنى المكتفى المحترف بأن نضع فى يده شيئاً ولو قليلاً : « **تصدقوا ولو بشق تمرة** » .

هكذا يكون الأدب ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ [الضحى : ١٠] ، ومن أدب الإسلام أن نكون مستجيبين لدعوة الخير : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون**

إلى الخير ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، والدعوة ليست كلاماً ، ولكنها فعل ، هذه هي الدعوة التي أدعو نفسي وأدعوكم إليها .

شكراً لكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

* * *

العشر الأواخر من رمضان*

أيها الأخوة المؤمنون ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ها نحن أولاً بعد أن مضى رمضان وأيضاً بعد أن مضى عيد الفطر المبارك نعود إلى قطار الأيام .. إلى الإيقاع الطبيعى العادى الذى نعيشه طيلة العام ، فيما عدا أيام رمضان ، ولا شك أن حالة الطوارى قد أعلنت فى بيوتنا جميعاً بمناسبة مجىء رمضان ، وربما كان مما لا يسر له أن حالة الطوارىء عندنا تعلن فى رمضان من الناحية المادية ، ولكنها لا تعلن إلا قليلاً من الناحية الروحية ، مع أن العكس هو المطلوب .

فقد كان رسول الله ﷺ إذا جاء رمضان .. وإذا جاء العشر الأواخر منه يهم فيشمر عن ساعديه ، ويشد المئزر ، ويعتزل أهله ، ويعتكف لأنه كان يراجع الوحى مع أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ فى العشر الأواخر من رمضان ، ثم فى آخر رمضان من حياته الشريفة اعتكفها رسول الله ﷺ عشرين يوماً كاملة ، لأنه راجع القرآن مرتين مع جبريل ـ عليه السلام ـ وقد عرف أن ذلك إيذاناً بأنه قد اقترب أجله ، أو إيذاناً بأن الوحى قد اكتمل ، وقد نزل الوحى فى حجة الوداع فقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [المائدة : ٣] إيذاناً أيضاً بتمام الوحى .

(*) هذا الحديث التليفزيونى لفضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين فى البرنامج الأسبوعى بالقناة الثالثة بتليفزيون جمهورية مصر العربية (حديث الجمعة) للمخرج مصطفى سمهان ، وأذيع يوم الجمعة الموافق ١٠ شوال ١٤١٣ هـ / ٢ إبريل ١٩٩٣ م .

والواقع أن بعض الناس لديهم فكرة خاطئة عن رمضان وعن العيد .. إن بعض الناس يتصورون أن جو رمضان جو من التدين يناسبه أن يكون الإنسان حزيناً خاملاً مكتئباً ، لأنه خاوى المعدة ، ولأنه ربما يكون مُعكراً ، أو مُعتكر المزاج .

أما فى العيد فإنه يفرح وينشط وشتان ما بين الحالتين ، وعلى ذلك .. إن من المفروض أن نأسى لمجىء رمضان بناء على هذا القياس ، وأن نفرح ونطرب لمجىء العيد ، وهذا فهم سطحى لمعنى الفرحة وعكس الفرحة أو نقيضها ، وهو الحزن .. ذلك أن القرآن علمنا أن نواجه الحياة بخيرها وشرها ، ولدينا جهاز عصبى ثابت مستقر ، لا ينبغى أن (تطيش) عقولنا من الطرب ، ولا أن نفقد صوابنا لأن حدثاً من الأحداث كان مفرحاً لنا ، كما لا ينبغى أن نفقد أعصابنا ونكتئب لأن حدثاً لم يكن فى صالحنا ، فذلك فى الواقع كله من أقدار لله ـ تبارك وتعالى ـ وهو سبحانه وتعالى يقول : **﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ۝ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ﴾** [الحديد : ٢٢ ـ ٢٣] .. فقد نهينا هنا عن أن نأسى على ما فات ، أو نفرح بما هو آت .

القرآن وظاهرة الفرح

لكن القرآن له موقفان : نهى فى أحدهما عن الفرح وأمر فى الآخر بالفرح ، فلننظر إلى الموقفين ..

الأول موقف قوم قارون من قارون الذى آتاه الله ثروة عظيمة **﴿ فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾** [القصص : ٧٦] ، فهذا نهى عن الفرح ، وأما الثانى فقد جاء فى آية أخرى ، هى قوله : **﴿ يا أيها**

الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ۝ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [يونس : ٥٧ ـ ٥٨] .

هل هنالك تناقض ؟؟ مرة يقول : ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ [القصص : ٧٦] ومرة أخرى يأمر بالفرح ؟ الواقع إن الآية الأخيرة : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [يونس : ٥٨] هى التى تحدد لنا الموقف : إن الناس هنا أمروا أن يفرحوا بما آتاهم الله من الهدى والموعظة والشفاء لما فى الصدور عندما جاءهم هذا من الله ـ تبارك وتعالى ـ حينئذ ينبغى أن يفرحوا ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** ﴾ [يونس : ٥٨] ثم يقول : ﴿ **هو خير مما يجمعون** ﴾ [يونس : ٥٨] .

وكأنه يشير هنا إلى الوضع الآخر الذى نهى فيه عن الفرح ، فقد جمع قارون من كنوز الأرض ﴿ **ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة** ﴾ فقال له قومه : ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ [القصص : ٧٦] ، أى لا تفرح بما جمعت فإن الله لا يحب الفرحين لهذه الدنيا ، فليس فيها ما يفرح إلا ما كان من هدى وعظة وشفاء لما فى الصدور ، وإذن فالآيتان فى الحقيقة تصبان فى مصب واحد هو تعليمنا ألا نفرح لمناسبات زمنية ، أو لمناسبات مكانية ، أو لما نجمع من هذه الدنيا ، وإنما نفرح لما نحصل من الهدى والتقوى ، لأنه هو الذى يقودنا إلى رضوان الله ـ تبارك وتعالى ـ وإلى ما ينبغى أن يحرص عليه المؤمنون .

استقبال العيد

تذكرت هنا استقبال « المتنبى » الشاعر للعيد بهذا البيت العجيب :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد

يعنى هل الأيام كما هى ، وقد جاء العيد كما جاء من قبله أعياد وأيام حفلت بالأسى وبالأحزان ، أو أن العيد قد جاء بما يفرح فعلاً ويبهج ؟ الناس يفهمون الفرح فى الحقيقة ـ هذا أمر ينبغى أن نشير إليه ـ يفهمون الفرح على أنه رقصة .. ونشوة .. وارتعاشة .. وطرب .. وجنون .. وهيستريا .. هذا هو الفرح الذى تعلمه الناس للأسف من تقاليد عصرنا .. ومواريثه .. وأفعاله .. وأحداثه .

أما الفرح الحقيقى فغير هذا .. إن هذا إرهاق .. وهذا تضييع لكثير مما ينبغى أن يحرص عليه الإنسان من الوقار ومن السكينة .. الفرح الحقيقى هو ما يكون سكينة فى النفس طمأنينة فى القلب .. هدوء فى الأعصاب .

بهذا يكون فرحاً حقيقياً ، لأنه يضفى على الإنسان نوعاً من الهدوء ، ومن السعادة الحقيقية ، أما أن يكون الفرح جنوناً وهيستريا فليس ذلك مناسباً أبداً لمعنى الفرح الذى أمر به القرآن .. لأن مناسبة الفرح فى القرآن مناسبة أرقى للروح ، وللوجدان ، وللمشاعر الإنسانية والدينية .

شكراً لكم ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١